

## السؤال

من هم الذين يظلمهم الله في ظله عندما تقترب الشمس من الأرض يوم القيامة؟

## الإجابة المفصلة

الحمد لله.

جاء ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله في أحاديث صحيحة ثابتة ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" سَبْعَةٌ يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " متفق عليه ، رواه البخاري (174-2/144) ومسلم برقم 1712 ، وغيرهما .

وهذا مما يمن الله به على عباده المؤمنين ، ففي ذلك اليوم العظيم يكون الناس في كرب وشدة ، وتدنو الشمس من الخلائق على قدر ميل ، ويعرق الناس كلٌّ على حسب عمله ، إلا بعض المؤمنين الذين يختصهم الله فيظلمهم تحت ظله ، ويقيهم من الشمس والعرق .

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرْقَهُ عَقْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجْزَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيهِ عَرْقُهُ .. " رواه الإمام أحمد في مسنده برقم 16798 .

ونورد فيما يلي شرح ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث :

" قَوْلُهُ : ( فِي ظِلِّهِ ) إِضَافَةٌ الظِّلِّ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ ، وَكُلُّ ظِلٍّ فَهُوَ مُلْكُهُ . وَقَبِيلٌ : الْمُرَادُ بِظِلِّهِ : كَرَامَتُهُ وَحِمَايَتُهُ ، كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ . وَقَبِيلٌ : الْمُرَادُ ظِلُّ عَرْشِهِ وَهُوَ أَرْجَحُ .

قَوْلُهُ : ( الإِمَامُ الْعَادِلُ ) الْمُرَادُ بِهِ : صَاحِبُ الْوَلَايَةِ الْعُظْمَى ، وَيَلْتَحِقُ بِهِ كُلُّ مَنْ وُلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَعَدَلَ فِيهِ .

وَأَحْسَنَ مَا فُسِّرَ بِهِ الْعَادِلُ : أَنَّهُ الَّذِي يَتَّبِعُ أَمْرَ اللَّهِ بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ . وَقَدَّمَ - الإِمَامُ الْعَادِلُ - فِي الذِّكْرِ لِعُمُومِ النِّفَعِ بِهِ .

قَوْلُهُ : ( وَشَابَّ ) : خَصَّ الشَّابَّ لِكَوْنِهِ مَطْنَةً غَلَبَتْ الشَّهْوَةَ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى ؛ فَإِنَّ مُلَازِمَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ وَأَدَلُّ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى .

قَوْلُهُ : ( فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ) : فِي حَدِيثِ سَلْمَانَ " أَفْنَى شَبَابِهِ وَنَشَاطِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ " .

قَوْلُهُ : ( مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ) : وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مِنَ التَّلْعِيقِ ؛ كَأَنَّهُ شَبَّهَهُ بِالشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ فِي الْمَسْجِدِ - كَالْفَنْدِيلِ مَثَلًا - إِشَارَةً إِلَى طُولِ الْمُلَازِمَةِ بِقَلْبِهِ وَإِنْ كَانَ جَسَدُهُ خَارِجًا عَنْهُ ، وَحَتَّمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَلَاقَةِ وَهِيَ شِدَّةُ الْحُبِّ .

قَوْلُهُ : ( تَحَابًّا ) : بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ ، أَيُّ : إِشْتَرَكَا فِي جِنْسِ الْمَحَبَّةِ وَأَحَبَّ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ حَقِيقَةً لَا إِظْهَارًا فَقَطْ .

قَوْلُهُ : ( اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ) : الْمُرَادُ أَنَّهُمَا دَامَا عَلَى الْمَحَبَّةِ الدِّينِيَّةِ وَلَمْ يَقْطَعَاهَا بِعَارِضِ دُنْيَوِيٍّ ، سَوَاءً اجْتَمَعَا حَقِيقَةً أَمْ لَا ، حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ .

قَوْلُهُ : ( وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ ذَاتُ مَنْصِبٍ ) : الْمُرَادُ بِالْمَنْصِبِ الْأَصْلُ أَوْ الشَّرْفُ ، وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى الْأَصْلِ وَعَلَى الْمَالِ أَيْضًا ، وَقَدْ وَصَفَهَا بِأَكْمَلِ الْأَوْصَافِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَزِيدِ الرَّغْبَةِ لِمَنْ تَحْصُلُ فِيهِ وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يَسْتَلْزِمُهُ الْجَاهُ وَالْمَالُ مَعَ الْجَمَالِ وَقَلَّ مَنْ يَجْتَمِعُ ذَلِكَ فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا دَعَتْهُ إِلَى الْفَاحِشَةِ .

قَوْلُهُ : ( فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ) : الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ ؛ إِمَّا لِيَزْجُرَهَا عَنِ الْفَاحِشَةِ ، أَوْ لِيَعْتَذِرَ إِلَيْهَا . وَحَتَّمِلُ أَنْ يَقُولَهُ بِقَلْبِهِ .

قَوْلُهُ : ( حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ) : الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِنَّمَا هُوَ إِخْفَاءُ الصَّدَقَةِ . ثُمَّ الْمُبَالَغَةُ فِي إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ ، بِحَيْثُ إِنَّ شِمَالَهُ مَعَ قُرْبِهَا مِنْ يَمِينِهِ وَتَلَازُمِهَا لَوْ تَصَوَّرَ أَنَّهَا تَعْلَمُ لِمَا عَلِمَتْ مَا فَعَلَتْ الْيَمِينُ لِشِدَّةِ إِخْفَائِهَا ، فَهُوَ عَلَى هَذَا مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ .

قَوْلُهُ : ( ذَكَرَ اللَّهُ ) أَيُّ بِقَلْبِهِ ، أَوْ بِلِسَانِهِ .

( خَالِيًا ) : مِنَ الْخُلُوقِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ أَبْعَدَ مِنَ الرِّبَاءِ ، وَالْمُرَادُ خَالِيًا مِنَ الْأَلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ .

قَوْلُهُ : ( فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ) : أَيُّ فَاضَتْ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَأُسْنِدُ الْفَيْضِ إِلَى الْعَيْنِ مُبَالَغَةٌ كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي فَاضَتْ .

وَذَكَرَ الرَّجَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا مَفْهُومَ لَهُ ، بَلْ يَشْتَرِكُ النِّسَاءُ مَعَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ . إِلَّا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْإِمَامِ الْعَادِلِ الْإِمَامَةَ الْعُظْمَى ، وَإِلَّا فَيُمْكِنُ دُخُولُ الْمَرْأَةِ حَيْثُ تَكُونُ ذَاتَ عِيَالٍ فَتَعْدِلُ فِيهِمْ . وَتَخْرُجُ حَصْلَةً مُلَازِمَةً الْمَسْجِدِ لِأَنَّ صَلَاةَ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَالْمُشَارَكَةُ حَاصِلَةٌ لَهُنَّ ، حَتَّى الرَّجُلُ الَّذِي دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ فَإِنَّهُ يُتَصَوَّرُ فِي امْرَأَةٍ دَعَاهَا مَلِكٌ جَمِيلٌ مَثَلًا فَامْتَنَعَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ حَاجَتِهَا " فتح الباري ( 2/144 ) .

وهناك آخرون يظلمهم الله في ظلّه - غير السبعة المذكورين في الحديث السابق - جاء ذكرهم في أحاديث أخرى ، نظمهم ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري ( 620 ) ، وهم : " إِضْلالُ الْعَازِي ، وَعَوْنُ الْمُجَاهِدِ ، وَإِنْظَارُ الْمُعْسِرِ وَالْوَضِيعَةَ عَنْهُ وَتَخْفِيفُ حِمْلِهِ ، وَإِرْفَادُ ذِي غُرْمٍ ، وَعَوْنُ الْمَكَاتِبِ ، وَتَحْسِينُ الْخُلُقِ ، وَالْمَشْيُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَالتَّاجِرُ الصَّدُوقُ ، وَآخِذُ حَقِّ ، وَالْبَازِلُ ، وَالْكَافِلُ " .

نسأل الله أن يظلمنا تحت ظلّه ، يوم لا ظل إلا ظله .